



المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة



اسم الموضوع : العراق لبنان وتلازم التحولات

عنوان الموضوع : العراق لبنان وتلازم التحولات

تاريخ النشر : 11/04/2018

اسم الكاتب : مصطفى فحص

الموضوع :

في خمسينات القرن الماضي، خضعت العلاقات العربية - العربية إلى توازنات الأحلاف الإقليمية والدولية، وشهدت تلك المرحلة تقارباً لبنانياً - عراقياً، بعدما لجأ الرئيس اللبناني الأسبق الراحل كميل شمعون إلى التقرب من العراق الذي كان يمثل في تلك المرحلة إحدى ركائز النفوذ الغربي لحماية سلطته من التمدد الناصري والمحور الاشتراكي المدعوم من السوفييات، خصوصاً في مرحلة ما بعد الاعتداء الثلاثي الذي فتح المجال أمام واشنطن وموسكو لملء الفراغ الفرنسي - ساكسوني في الشرق الأوسط، حيث تمسك الرئيس شمعون بمعادلة سياسية تجاوزت منطق الجغرافيا وقامت على فكرة «عراق قوي، لبنان مستقر»، هذه المعادلة رسخت قناعاته بصعوبة تقسيم لبنان منذ بداية الحرب الأهلية، ففي رده على سؤال من أحد المقربين منه سنة 1976 حول مستقبل لبنان، أجاب شمعون: «خلي عينك على العراق»، فقد ربط شمعون لبنان النموذج بالعراق الدور، معتبراً أن التقسيم إذا حصل في شرق المتوسط يبدأ من العراق الكبير ثم إلى لبنان الصغير، مؤكداً أنه «إذا قسم العراق ستنقسم المنطقة تبعاً، وإذا بقي موحداً ستنبقى دول وشعوب المنطقة موحدة أرضاً وشعباً». وحده الراحل الرئيس رفيق الحريري التفت الإشارة باكراً، وأعاد فتح أوراق الرئيس شمعون العراقية بعد سقوط البعث سنة 2003 الذي هدد بسقوطه استقرار ما تبقى من أنظمة ما بعد الحرب الباردة، ولم يتردد رفيق الحريري في استقبال أول رئيس لوزراء العراق بعد التغيير، الدكتور إياد علاوي، حيث أثارت زيارته بيروت حفيظة دمشق وحلفائها في بيروت وطهران، الذين ارتبكوا مما اعتبروه حينها خروجاً عن ثوابتهم السياسية التي أرادوا فرضها على المنطقة، بعدما بدأت تتبلور إمكانيات تقاطعات سياسية جديدة ما بين شيعية سياسية جديدة في العراق، وحريرية سياسية في لبنان، اتهمها محور دمشق بأنها سنية سياسية أوسع من حدود لبنان، التي أعادت إلى أذهانهم حلف بغداد من جديد، وحتى اغتياله في فبراير (شباط) 2005 كانت عين رفيق الحريري على العراق، وعيون العراقيين على تجربته في إعادة الإعمار، وفي هذا السياق وأثناء وجودي في بغداد مع زميلين لتغطية الانتخابات العراقية 2010، روى لنا مسؤول عراقي كبير في مجلسه الخاص أنه عندما بدأ التخطيط للعمل في ميناء البصرة الكبير الذي تتجاوز كلفته 150 مليار دولار، وقع الخيار مباشرة على رفيق الحريري الذي تم إبلاغه بالمشروع الضخم، ما أثار استياء القيادة السورية التي اتصل أحد صنّاع قرارها الكبار معاتباً المسؤول العراقي على عدم استشارتهم قبل الحديث مع الراحل رفيق الحريري. مما لا شك فيه أن شراكة الحريري في إعادة إعمار العراق كانت ستؤمن له حضوراً فاعلاً على أغلب محطات طريق الحرير الجديدة، التي رسمتها مصالح روما الجديدة من سهوب منشوريا حتى ميناء البصرة الكبير، وصولاً إلى حلب وبيروت، لكن طريق بيروت - بغداد زرعت بالألغام فسقط رفيق الحريري على هذه الطريق، بعد أن سبقه اغتيال مشروع النجف المدني السيد عبد المجيد الخوني، ولحقت بهما رئيسة وزراء باكستان بينظير بوتو، حيث أجمع الجناة على ضرورة منع التطبيع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي من تخوم أسيا الوسطى حتى شط العرب. في كتاب مذكراته، يروي مهندس العلاقات العراقية - اللبنانية وزير الدولة للشؤون الخارجية في حكومة المغدور نوري السعيد، الدبلوماسي العراقي برهان الدين باشا أعيان، أنه في الأول من أكتوبر (تشرين الأول) 1956 توقف في بيروت للقاء الرئيس شمعون الذي أبدى قلقه من تزايد النشاط الناصري ضده، معرباً عن أمله في الحصول على مساعدة اقتصادية من العراق، فيما عرض الوزير برهان الدين مساعدة لبنان عسكرياً. أصر برهان باشا أعيان خلال عمله على تعزيز الحضور العراقي في الساحة اللبنانية، وشجع الحكومة اللبنانية على توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين البلدين، معتبراً أن دعم الرئيس شمعون ضرورة استراتيجية للوقوف بوجه التيارات الشيوعية والناصرية التي بدأت تهيمن على المنطقة، لذلك عاد إلى بيروت في 13 يناير (كانون الثاني) 1957، وبعد اجتماعه بالرئيس شمعون، أبرق إلى بغداد برسالة إلى رئيس الوزراء نوري السعيد ورد فيها أن «الانتخابات اللبنانية المقبلة ستكون مهمة، لأنها ستؤثر على الرئاسة اللبنانية وعلى موقف العراق في لبنان»، واقترح على نوري السعيد أن يقوم العراق بما يلزم. بعد 60 سنة على سقوط الحكم الملكي، و15 سنة على سقوط نظام صدام حسين، و13 سنة على اغتيال الحريري، يجتمع البلدان في انتخابات مصيرية الشهر المقبل ستنعكس نتائجها على إعادة رسم التحالفات في المنطقة، وكأن البلدين مصران على وحدة المسار والمصير... يتبع. *نقلا عن صحيفة الشرق الأوسط